

□ تأملات في واقع الترجمة في الجزائر و العالم العربي

الآداب و العلوم الانسانية نموذجاً

د. محمد يحياتن

- قسم الترجمة - جامعة الجزائر

سيداتي سادتي، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، في البداية لا أملك إلا أن أشكر قسم الترجمة بجامعة وهران التي شرفتنا بدعوتنا للمشاركة في هذه الندوة العلمية الكريمة.

اسمحوا لي في البداية، أن أهدي ورقتي هذه إلى روح الأستاذ الفاضل الدكتور حنفي بن عيسى رحمه الله، فقد كان المرحوم و الحق يقال أستاذ كفأ في ميدانه و مترجماً بارعاً كذلك، و لا أعدو الحقيقة إن قلت بأنه كان من القلائل الذين عنوا و أدركوا مبكراً أهمية الترجمة في بلادنا و سعوا إلى إثراء المكتبة العربية،

بعد هذا آتي إلى موضوعي، و هنا أحب أن أطمئن الحضور و أقول لهم بأنني لن أطرق أبواباً مفتوحة أي لن أقف عند أهمية الترجمة و محاسنها،

فهذا من بدائه الأمور و لا أحسبني بحاجة إلى تقرير الترجمة من جديد، لهذا سأوجه مباشرة إلى لب الموضوع و أعني به حال الترجمة في الجزائر و العالم العربي،

كما أنني لن أضيف جديدا إن قلت بأن الترجمة في العالم العربي عامّة ظاهرة هامشية للغاية إذا قارناها بما هي عليه في البلدان المتقدمة، في هذا الباب ، تؤكد المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم من خلال الكتاب الذي أصدرته حول الخطة القومية للترجمة بأن عدد الكتب المترجمة في خمس دول عربية ما بين 1970 و 1975 بلغ 872 كتاب بمعدل 175 كتاب في السنة، في حين أن عدد الكتب المترجمة ما بين 1970 و 1980 في ست عشر دولة عربية بلغ 2840 كتاب أي بمعدل 284 كتاب في السنة، بينما كانت اليابان في بداية القرن تترجم سنويا حوالي 1700 كتاب، و قد بلغ عدد الكتب التي ترجمتها إلى غاية 1989 حوالي 270000 كتاب¹.

عندما نستقرئ النصوص الرسمية التي تنتظم المجتمع الجزائري من موثيق و غيرها، نجد بأنها تتطوي كلها على الدعوة إلى تنزيل الترجمة المكانة التي تستأهلها، و نلمس ذلك بخاصة في النصوص التي تعالج قضية التعريب بوجه خاص، فلئن كانت هذه النصوص كلها تلح على

1 : أنظر د. محمد زرمان : الترجمة في الوطن العربي : الواقع و الآفاق، مجلة المترجم، جامعة وهران

العدد2، 2001، ص 128

تنزيل العربية المنزلة التي هي جديرة بها في مختلف المجالات، فإنها مع ذلك تشدد على ضرورة تشجيع الترجمة من العربية و إليها، بوصفه السبيل القويم للفتح على العالم الذي يشهد على أيامنا تطورا مذهلا في مجالات المعرفة و التكنولوجيا.

غير أن الناظر في الواقع الماثل أمامنا، لا يجد فيه مع الأسف الشديد ترجمانا لهذه القناعات و هذه الدعوات، و لا يجد المرء كبير عناء للدلالة على ما نذهب إليه، فحسبه أن ينظر في الكشوف و قوائم الكتب - علما بأن حتى هذه الكشوف و هذه القوائم قلما يعثر عليه المرء - ليقف على ضعف حركة الترجمة في مختلف مجالات المعرفة.

1. أسباب ضعف حركة الترجمة

قلنا فيما تقدم بأن لا أحد يجادل في أهمية الترجمة في حياة الأمم، إذا كان الأمر كذلك، فلم هذا التقصير الفادح في بلادنا و في البلدان العربية قاطبة، لاسيما و أن بلادنا قد أقدمت على التعريب الذي لا بدّ و أن تعضده حركة ترجمة جمّة ؟

السبب الأول :

إنّ هذه التقصير مرده في نظرنا إلى غياب استراتيجية و سياسة حصيفة للتعريب الذي أقدمت عليه البلاد منذ الاستقلال، فلئن كان التعريب لا يعني الترجمة فحسب كما تؤكد على ذلك بعض النصوص، فإن التعريب من

بعض وجوهه مطالب بتشجيع الترجمة التشجيع القوي، غير أن وصف الحال، و قد مرّ حين من الدهر عليه يفضي بنا إلى القول في المحصلة إنّ التعريب هذا كان مع الأسف عبارة عن ذريعة و ليس سبيلا حقيقيا للنهوض بالعربية في مجال التدريس و الترجمة و البحث، و تزامن مع هذا يمكن القول كذلك لم تكن للجزائر استراتيجية أو سياسية حصيفة للكتاب، و مما يزيد الطين بلة اليوم هو تخلي الدولة كلية عن القطاع الحيوي، و هذا منذ عدولها عن دعم الكتاب بداية من 1986، و بيعها الشركة الوطنية للنشر و التوزيع التي أصبحت فيما بعد تتسمى بالمؤسسة الوطنية للكتاب، إنّ هذا الأمر ليدعو للتدبر و القلق، أما عن الترجمة فحدث و لا حرج، لا سياسة و لا تخطيط يخصها، علما بأن الحاجة إليها ماسة جدا، و ما دمت بصدد الحديث عن هذا الموضوع، دعوني أشير أيضا إلى تخلي الجزائر عن احتضان المعهد العربي للترجمة المنشأ من قبل جامعة الدول العربية و الذي كان قد تقرر فتحه في سبتمبر 1987، و انشاء المركز الوطني للترجمة و المصطلحات بمرسوم بتاريخ 17 أفريل 1980 و لكنه لم ير النور على إثر حل المركز الوطني للبحث العلمي ONRS.

السبب الثاني :

و هو سبب قوي فيما أرى، و مؤداه أن ما يقدم للمترجم من حقوق مقابل جهده و أتعابه لا تحفره على الترجمة، و هذا ما يدفع بالمترجمين إلى

1- أنظر في هذا الصدد دراسة نذير معروف : L'Algerie pluri-culturelle droit à la différence et différence de droit, in Naqd, Alger 1993, p.8.

إيثار العمل ك مترجمين فوريين في الهيئات الرسمية و المحافل الدولية حيث يدرّ عليهم عملهم مبالغ مُغرية، علاوة على كون الناشرين يستكشفون من نشر الترجمات لأن ذلك يؤدي بهم إلى شراء حقوق الترجمة¹.

2. الترجمة في الجزائر و العالم العربي في مجال الآداب و العلوم الإنسانية

1.2 وصف الحال من حيث الأرقام

لقد دفعنا الفضول إلى القيام بمحاولة إحصاء ما ترجم في بلادنا منذ الاستقلال إلى يومنا هذا في مجال الآداب و العلوم الإنسانية، مع العلم بأنه حملنا أنفسنا الوقوف على ما ترجمه الجزائريون لقياس مدى مساهمتهم في حقل الترجمة، غير أن هذا لم يكن أمرا هينا بسبب عدم وجود الكشف و البيانات الضرورية التي من شأنها تذليل الصعوبات، و لهذا اقتصرنا على :

أ. معرفتنا الشخصية.

ب. كشف الشركات الوطنية للنشر و التوزيع التي أصبحت بعد ذلك تسمى المؤسسة الوطنية للكتاب و التي صارت إلى زوال فيما بعد، ب. كشف ديوان المطبوعات الجامعية،

2.2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع / المؤسسة الوطنية للكتاب

1 : هذا ما عساه شخصا مع ديوان المطبوعات الجامعية حين همنا بنشر ترجمتين لكتابين لم ننقأ مقابل ذلك سوى مبلغ ألفين دينار للكتاب الواحد.

لقد أفضى جردنا بالنسبة للشركة الوطنية للنشر و التوزيع و التي أصبحت فيما بعد تسمى بالمؤسسة الوطنية للكتاب إلى ما يلي :

- ترجم منذ 1965 إلى غاية 1986 : 46 كتابا مترجما، و

يتوزع كالتالي :

♦ آداب : 19

♦ فلسفة : 1

♦ تاريخ : 18

♦ علم الاجتماع : 5

♦ علم النفس و التربية : 1

♦ علوم سياسية : 1

♦ اقتصاد : 1

ب. ديوان المطبوعات الجامعية :

بالنسبة لما أصدره ديوان المطبوعات الجامعية من 1976 إلى غاية 1988 ، لقد أفضى الإحصاء إلى 19 كتابا ليس إلا، أي بمعدل كتاب و نصف في السنة، (أنظر في الملاحق تفصيلا لذلك)، نشير إلى أننا استبعدنا الكتب التي أصدرت في المشرق العربي و أعيد طبعها من قبل الديوان، هذا و يمكن توزيع هذه الترجمات على النحو التالي :

♦ علم الاجتماع : 5

♦ علم النفس : 2

♦ التاريخ : 6

◆ الفلسفة : —

◆ اللسانيات : 1

◆ إعلام : 2

◆ عموميات : 1

◆ علوم سياسية : 1

◆ آداب : 1

3.2 الترجمة من حيث استجابتها للحاجات العلمية و الثقافية

لقد أمكننا الوقوف على مدى ضعف حركة الترجمة في بلادنا، و الحال إن هذا الضعف ينطبق على البلدان العربية، و مما يضاعف من شأن هذا الضعف - و هذا يجب تسجيله - ضخامة أعداد الكتب التي تنتشر في العالم، لاسيما في أمهات اللغات و بخاصة في مجال العلوم الدقيقة و الانسانية، فإئن كنا ندعو إلى تشجيع الترجمة، فإننا في الوقت نفسه لا مناص من تعلم و تعليم اللغات الأجنبية حتى نستطيع الوصول إلى هذه العلوم المدونة بهذه اللغات.

بعد حصرنا لظاهرة ضعف حركة الترجمة من حيث سعتها و مداها، نريد الآن أن نتطرق إلى نقطة أخرى ملازمة للأولى و تتعلق بمدى استجابة هذه الترجمات للحاجات العلمية و الثقافية، ولمعالجة هذا الموضوع، سأأخذ مجال اللسانيات الذي أزعم بأنني أعرفه معرفة جيّدة، و أخرج بعد ذلك على مجال الفلسفة لأعرض عليكم رأي أحد العارفين به

و هو الأستاذ د. محمد وقيدي، أستاذ الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالرباط.

1.2.2 مجال اللسانيات

أبدأ موضوعي بالقول : إنَّ ضعف حركة الترجمة في العالم العربي تجعل تدريسنا للعلوم الاجتماعية و الانسانية في جامعاتنا و معاهدنا موسوما بالتخلف، لأنها لا تواكب التطور العلمي و البحثي الحاصل في العالم، و للدلالة على هذا، سأعرض عليكم حصيلة ما ترجم في اللسانيات و مختلف حقولها إلى العربية.

المترجمون - المكان -	الكتب
4 ترجمات : تونس، المغرب، العراق، لبنان سوريا، تونس، الجزائر. م. البكري، المغرب الطيب البكوش، تونس. بدر الدين قاسم، سوريا منذر عياشي، سوريا سعيد علوش، المغرب المنصف عاشور، الجزائر محمد عبد الغني، العراق م. الدواخلي و محمد الخصاص، مصر صالح القرمادي، تونس. يوسف عزيز، المغرب حسن تازم، المغرب خليل أحمد خليل، محمد يحياتين محمد يحياتين	دي سوسير : محاضرات في اللسانيات العامة أ. مارتيني : مبادئ اللسانيات العامة ر. بارت مبادئ في علم الأدلة ج. مونان : مفاتيح الألسنية ج. مونان : تاريخ اللسانيات ب. جيرو : علم الدلالة ف. أرماتقو : المقاربة التداولية ك.ل. فوك آخرون : قضايا اللسانيات العامة ر. هدسون : علم الاجتماع اللغوي فندرياس : اللغة ج. كانتينو : دروس في علم أصوات العربية ن. توشمسكي : البنى النحوية ر. ياكيسون : محاضرات في الصوت و المعنى ج. قرمادي : اللسانية الاجتماعية سالم شاكر : مدخل إلى علم الدلالة جيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية

تعليق :

الحصيلة كما ترون محدودة : 17 كتابا، علما بأن جلها هو من قبيل المصنفات العامة التي تتولى التعريف بأهم المفاهيم اللسانية العامة، أي أن مجالات لسانية حديثة و دقيقة برمتها لم تطلها الترجمة مثل تحليل الخطاب الحديث L'Enonciation و التداوليات Pragmatique إلخ، كما نلاحظ ظاهرة غريبة و هي أكثر من ترجمة لنفس الكتاب، و يضاف إلى هذا صعوبة الحصول على هذا القليل المتوفر، نظرا لانغلاق سوق الكتاب العربي،

2.2.2 مجال الفلسفة

هذا الذي قدمناه عن اللسانيات يمكن أن ينسحب على مجالات علمية أخرى، مثل الفلسفة، و هنا نعول على أحد العارفين بهذا الميدان و هو - كم أسلفنا د. محمد وقيدي - الذي يقول : " ... لقد قلنا إنّ شرط الترجمة لا يوجد بما فيه الكفاية و ندلل على قولنا بالإشارة إلى أن عددا من كبار الفلاسفة (...) غير حاضرين باللغة العربية، و لا يمكن أن نتصور حوارا فلسفيا فعلا في غياب هذه النصوص، كما لا يمكن أن نتصور في غيابها وجود تعليم فلسفي جاد"*

و يقول من جهة أخرى، عن مدى حضور الفلاسفة المعاصرين لنا بأنهم : " ليسوا بأكثر حظا من سالفهم برغم صفة المعاصر التي تربطنا بفكرهم، هناك لا شك مجهود يستحق التقدير قام به بعض المترجمين لكن ما هو

* د. محمد وقيدي : الترجمة بوصفها ضرورة حضارية، جريدة السلام، الجزائر 1995/03/16

موجود من الترجمات لم يخضع إلا لإستراتيجيات ثقافية عامة... نجد في الزمن المعاصر أيضا فلسفات لم تأخذ عنايتها من المترجمين إلى اللغة العربية مع أنه كان لها التأثير القوي على مسيرة الفكر الفلسفي المعاصر مثل نيتشة و هيدجر و هابرماس و برانشفيك كما لم تحظ بما تستحقه من أهمية الفلسفات التي فكرت أساسا في الثورات العلمية المعاصرة مثل كارل بوبر، ألكسندر كوينر، جورج كانغيلام وتوماس كوهن و غيرهم

3. من أجل حركة الترجمة معقنة و مخططة

إنّ السهوض بالترجمة سواء في بلادنا أو في العالم العربي قاطبة يقتضي في رأينا مجموعة من المبادئ و التدابير التي لا مندوحة عنها ، التي يمكن إجمالها فيما يلي :

أ. جهد و احصاء ما ترجم إلى العربية : إنّ هذا المسعى أمر ضروري لوصف حال الترجمة في العالم العربي بلدا بلدا في المجالات التي تعيناها هنا أي الآداب و العلوم الانسانية، كما يمكن القيام بنفس الشيء بالنسبة للعلوم الدقيقة، على أن تشرف على هذه العملية المنظمة العربية للتربية للثقافة و العلوم بوصفها هيئة مؤهلة أكثر من غيرها للقيام بها فتسهر على استلام الكشف و البيانات التي تتجزأ البلدان العربية لتشكل في المحصلة بنكا من المعطيات يخزن و يمكن لأي باحث أن يستشير به بواسطة الأنترنت، هذا مع الإشارة إلى هذا البنك لا بد أن يحتوي على ما

ترجم و ما يزعم ترجمته، و من مستتبعات هذا حمل دور النشر العربية على اعلام المنظمة بذلك، و هذا بالطبع من مزاياه تحاشي ما ذكرنا : إهدار الجهود و تلبية الحاجات الثقافية و العلمية الضرورية.

ب. في الترجمة ذاتها : قد يبدو غريبا القول بأن من يجب أن يتولى الترجمة هو المترجم، لأن هذا من قبيل تحصيل حاصل، و لكن أحيانا لا بد من التذكير بالبداهيات لأن ما نراه و نقرأه أحيانا في باب الترجمة يجعلنا نشك في كفاءة من يقدم على ترجمة هذا الكتاب أو ذاك، فلئن كان الخطأ من الانسان، فهناك أخطاء لا يجوز قبولها، و أسمح لنفسي بأن أعرض عليكم من هذه الأخطاء التي يجوز قبولها لأنها تتم عن عدم استيعاب :

- ترجمت العبارة الفرنسية المعروفة : Il a du pain sur la planche حرفيا إلى العربية : إن له رغيفا على الرف، و الحال أن المعنى المقصود هو أن فلانا له عمل كثير. ورد في هذا كتاب مترجم في سوسولوجيا الأدب.

- ترجم اللفظ الفرنسي Patient بالصبور، في حين أن المعنى السياقي المقصود هو المريض أو المفحوص (= المعنى الطبي). ورد هذا في ترجمة كتاب في علم النفس.

- ترجمة مفهوم registre de langue بـ " سجل لغوي " و هو خطأ بين، المترجم ها هنا تشبث بالمعنى المتداول الشائع أي السجل، و نسي أن اللفظ معنى آخر و هو معنى المستوى.

- ترجمة comportement verbal بـ " سلوك فعلي " و هو من قبيل ما قدمنا، حيث انصرف ذهن المترجم إلى المعنى المتداول و غاب عنه أن verbe من معانيه اللغة/الكلام.

إنّ ما نهدف إليه هو أن تكون الترجمة جيّدة تفيد القارئ و تستجيب لحجّاته و انتظاراته. و لكي يكون الأمر كذلك، نقترح أن يعمل بما يعرف بالمراجعة أي يكلف شخص آخر غير المترجم بمراجعة و تمحيص الترجمة.

ج. حصر الحاجات الضرورية: إن انتاج الآداب و العلوم و المعارف على أيّامنا هو من الضخامة بحيث يصعب الاحاطة به و ترجمته كله. لهذا لا بد من مواكبة الإنتاج مواكبة دائمة لحصر ما هو جدير بأن يترجم إلى العربية. و هذا بالطبع لا يمكن أن يتولاه سوى أهل الاختصاص من الجامعيين و الباحثين و المثقفين، و لكي يكون هذا الحصر دقيقا و دالا يجب أن تتكفل به الفرق لا الأفراد.

د. من أجل بيت حكمة آخر : لتدارك النقص الفادح الذي أشرنا إليه سلفا، لا بد كذلك من التفكير في إنشاء هيئة برأسها، شبيهة ببيت الحكمة على أيام المأمون، تضم خيرة المترجمين و توكل لهم مهمة ترجمة أمهات الكتب في مختلف التخصصات التي ذكرناها آنفا. و لما كانت الترجمة من الوسائل و الوسائط الضرورية للفتح على العلوم و الثقافات، و ما

يترتب عن ذلك من رقي للأفراد و الأمة، فإنّ البلدان العربية مطالبة بأن تدعم حركة الترجمة هذه بمختلف الوسائل المعنوية منها و المادية. إنّ للتفتح على العالم، و هو شرط ضروري للبقاء، ثمن لا بد من دفعه.